

الفصل الأول مفهوم القرآن

القرآن لغة مصدر من قرأ- يقرأ- قرأه- وقرآن. وقرأ الشيء أي جمعه وضم بعضه إلى بعض.¹ كلما قال الله تعالى " إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ"²، أي قراءته، فهو مصدر على وزن " فعلان "

بالضم كلفغران والشكران، بمعنى واحد، سمي به المقرؤ تسمية للمفعول بالمصدر.³

وقد اختلف العلماء في لفظ " القرآن " بعضهم يرون أنه مهموز و الآخرون يرون أنه غير مهموز. وممن رأى أنه مهموز فهو الزجاج والحياني وجماعة.

يقول الزجاج⁴ : إن لفظ " القرآن " مهموز على وزن فعلان، مشتق من القرء بمعنى الجمع. ومنه قرأ الماء في الحوض إذا جمعه، لأنه جمع ثمرات الكتب السابقة يقول الحياني⁵ : إنه مصدر مهموز بوزن الغفران، مشتق من قرأ بمعنى تلا، سمي به المقرؤ تسمية للمفعول بالمصدر.

وهذا الرئ الأخير هو اقوى الآراء وأرجحها كما قال الدكتور الصبحي الصالح في كتابه مباحث في علوم القرآن.⁶

¹ لويس معلوف، المنحد في اللغة : 616.

² سورة القيامة الآية : 17-18

³ مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، (الرياض : منشورات العصر الحديث مجهول السنة) لطبعة الثالثة، 2.

⁴ إبراهيم ن السري، ويكنى اعبا إسحاق، صاحب الكتاب (معاني القرآن) توفي سنة 311 (أظرا إنباه الرواة 1631)

⁵ أبو الحسن علي ابن حازم، اللغوي المشهور المتوفي سنة 215، وقد فادابن سيده من كتبه في تأليف (المخصص)

⁶ صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، (بيروت : دارا العلم الملايين، مجهول السنة) الطبعة التاسعة، ص: 19.

فالقرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة, ومنه قوله تعالى " " إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ " .

ومن العلماء الذين يرون أن لفظ " القرآن " غير مهموز الشافعي والفراء والأشعري يقول الشافعي : هو اسم عالم غير مشتق , خاص بكلام الله , فهو غير مهموز ولم يؤخذ يقول الفراء⁷ : هو مشتق من القرآن, لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضا, ويشابه بعضها بعض , وهي قرائن ونونه أصلية. ويقول الأشعري⁸ : هو مشتق من قرن الشيء , إذا ضمنت أحدهما إمي لآخر, وسمي به, لقرآن السور والآيات والأحرف فيه.⁹ وقال جلال الدين السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن إن المختار في هذه المسألة ما نصّ عليه الشافعي.

وكان العرب في العصر الجاهلي عرفوا اللفظ "قرأ" لكن يستخدمونه بمعنى غير معنى التلاوة, فقد أخذها العرب من أصل آرامي وتداولها, وهم يقولون : هذه الناقة لم تقرأسلى قط , يقصدون أنها لم تحمل ملفوحا ولم تلد ولدا. ومنه قول عمرو بن كالثوم هجان اللون لم تقرأحنينا.¹⁰

وأما لفظ قرأ بمعنى تلا فقد أخذها العرب من أصل آرامي وتداولوها, فمن المعروف أن اللغات الآرامية والحبشية والفارسية قد تتأثر كثيرا في العربية لأنها كانت لغات لأقوام المتمدينة المجاورة للعرب في القرآن السابقة للهجرة وهذا ماقاله برجشتراسر .G. Bergstraesser. ولهجات الآرامية المختلفة كانت تسودكل بلاد

⁷ هراحد نحاة الكوفة وائمة المشهورين في اللغة واسمه يحيى بن زيادالديلمي, ويكنى أبازكريا, له كتاب في معاني القرآن, توفي سنة 207 (انظر طبقات الزبيدي 143 إلى 146 وفيات الأعيان 228-2)

⁸ هو الإمام ابو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري الذي تنسب إليه الطائفة الأشعري. وكتبه مشهورة في الرد المبتدعة من الجمهية والخوارج والرافضة. توفي سنة 334 (انظر وفيات الأعيان 1-326)

⁹ جلال الدين السيوطي الشافعي. الإتقان في علوم القرآن. (مؤسسة الكتب الثقافية, مجهول السنة), ج: 1, ص: 144.

¹⁰ صبحي الصالح. مباحث في علوم القرآن, ص: 19.

فلسطين وسورية وبين النهرين وبعض العراق, ونعلم أيضا أن جار العرب أي اليهود كانت لغتهم الدينية الأرامية تساعد كثيرا في انتشار الألفاظ الدينية الأرامية.¹¹

وأكد المشتق كرنكر krenko استعمال العرب من آثار الجوار مع اليهود عندما بحث عن لفظ " كتاب " في دائرة المعارف الإسلامية, وكما نقل بلاشير Blachere أيضا طائفة من الكلمات الدينية الأرامية والسريانية والعبرانية من أثر اليهود, ومنها كلمة قرأ كتب, تفسير, تلميذ, فرقان, قيوم, زندق.¹²

وأما القرآن اصطلاحا فهو كلام بالعالمين نزل به روح الأمين على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد لهداية الناس أجمعين.¹³ وقال محمد على الصابوني إن القرآن هو كلام الله المعجز على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة الأمين جبريل عليه الصلاة والسلام المكتوب في المصحف المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة المختتم بسورة الناس.¹⁴ وأما تعريف القرآن الذي اتفق عليه الأصوليون والفقهاء وعلماء العربية أنه الكلام المعجز المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصحف, المنقول عنه بالتواتر, المتعبد بتلاوته.¹⁵

ولو كان العلماء قد اختلفوا عن أصول اشتقاق القرآن, فالخلاصة من تلك التعريفات المذكورة أنه كلام الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه المتعبد بتلاوته والمنقول إلينا بالتواتر المكتوب في المصحف لهداية الناس أجمعين من أول سورة

¹¹ صبحي الصالح, مباحث في علوم القرآن, ص: 20.

¹² صبحي الصالح, مباحث في علوم القرآن, ص: 20.

¹³ محمد اسماعيل ابراهيم, القرآن وإعجازن العلم, بيروت: دار الفكر العربي, مجهول السنة, ص: 2.

¹⁴ محمد على الصابوني, التبيان في علوم القرآن, ص: 8.

¹⁵ صبحي الصالح, مباحث في علوم القرآن, ص: 21.

الفتحة إلى سورة الناس وهناك أسماء عديدة للقرآن, وقال أبو المعالي عزيزا بن عبد الملك المعروف بشيدلة في كتاب البرهان بأن له خمسة وخمسين اسما,¹⁶ وقال صبحي الصالح عن ذلك بانه خلط فيها التسمية والوصف.

فمن اسماء القرآن مثلا :

● الكتاب لقوله تعالى (لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ).¹⁷

● والفرقان لقوله تعالى (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا).¹⁸

● والذكر لقوله تعالى (إِنَّا نَحْنُ الذَّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ).¹⁹

● والتنزيل لقوله تعالى (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ).²⁰ وغير ذلك مما ورد في القرآن.²¹

ومما سبق قد غلب من اسماءه : القرآن والكتاب, قال الدكتور محمد عبد الله الرازي : " روعي في تسمية قرآنا كونه متلوا بالأسن, كما رعى في تسميته كتابا لكونه مدونا بالأقلام, فكلتا التسميتين من تسمية شئ بالمعنى الواقع عليه ".²² وأما أوصاف القرآن كما وصفه الله تبارك وتعالى بأوصاف جليلة عديدة

¹⁶ جلال الدين السيوطي الشافعي , الإبتقن في علوم القرآن,ص:141.

¹⁷ سورة الأنبياء الآية : 10

¹⁸ سورة الفرقان الآية : 1.

¹⁹ سورة الحجر الآية : 9

²⁰ سورة الشعراء الآية : 192

²¹ مناع القطان ,مباحث في علوم القرآن, ص : 21-22.

²² مناع القطان ,مباحث في علوم القرآن, ص : 22.

²³، منها نور لقوله تعالى (يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بُرْهَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا).²⁴

وهدى لقوله تعالى وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ^ط ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً^ط وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْءَانٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى^ع أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ^ب.)²⁵

ورحمة وشفاء لقوله وَنُنزِلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ^ص وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا.²⁶

وموعظة لقوله تعالى (يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ^ص.)²⁷ إلى غير ذلك من الأوصاف التي تشعر بعظمته وقد سيته.²⁸

الفصل الثاني لغة القرآن

قد أنزل الله تعالى القرآن على أمة محمد بلسان العربي المبين. وهو كتاب عربي، ليكون هدى ومنهاجا لحياتهم، ودستور

²³ مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص: 23.

²⁴ سورة النساء الآية: 174.

²⁵ سورة الفصلاة الآية: 44.

²⁶ سورة الإسراء الآية: 82.

²⁷ سورة يونس الآية: 57.

²⁸ مناع القطان مباحث في علوم القرآن، ص: 22-23.

المجتمعهم قال الله تعالى (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) ²⁹،

وكان القرآن تحثنا

أن نعتبر ونذكر وندبر بما فيه كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا

ءَايَاتِهِ ۚ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ). ³⁰

ومن الدليل على أنه كتاب عربي قد ورد في القرآن الكريم

وَشَرَّوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ). ³¹ وقال

الله تعالى وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ ۖ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ

﴿. ³² وقال الله تعالى أيضا (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ). ³³

وهناك عدة آياته القرآن

التي تدل على أن القرآن منزل على محمد صلى الله عليه

وسلم باللغة العربية.

إن القرآن " عربي " في نظمه ولفظه وأسلوبه وتركيبه وأنه

ليس فيه ما يخالن طريقة العراب في المفردات والجمل والأسلوب

والخطاب. ³⁴ والعلماء يتفقون عليه ولكنهم يختلفون هل فيه ألفاظ

مفردة من غير كلام العرب.

²⁹سورة البقرة الآية : 2.

³⁰سورة ص الآية : 29.

³¹سورة يوسف الآية : 2.

³²سورة فصلت الآية : 44.

³³سورة الزخرف الآية: 3.

³⁴محمد على الصابوني، التبيان في علوم القرآن، ص: 2.7.

قال جمهور العلماء وعلى رأسهم القاضي (أبو بكر ابن الطيب) وشيخ المفسرين (ابن جرير الطبري) و (الباقلان) وغيرهم من العلماء الأعلام قالوا:

" إن القرآن عربي كله, وليس فيه ألفاظ أو مفردات من غير كلام العرب, وما وجد فيه ألفاظ سائراللغة, فإنما اتفق فيها أن تواردت اللغات عليها, فتكاملت بها العرب, والفرس, والحبش, وغيرهم :³⁵

وقال طائفة من العلماء : إن في القرآن ألفاظ ليست عربية, وإن تلك الألفاظ لقلتها, لاتخرج القرآن عن كونه عربيا مبينا, ومثل على ذلك لفظ (الشككت) بمعنى الكوة. ولفظ (الكفل) بمعنى الضعف , ولفظ (قسورة بمعنى السد كل هذه الالفاظ هي بلسان الحبسية وهي ألفاظ غير العربية, وكذلك لفظ (القسطاس) بمعنى بلسان الروم. ولفظ (السجيل) بمعنى الحجارة ولطين بلسان الترك. ولفظ (الم) بمعنى البحر و (الطور) بمعنى الجبل بلسان السريانية.³⁶

وقال ابن عطية : بأن هناك الألفاظ في الأصل (أعجمية) ولكن العرب استعماله وعرابتها فهي عربية بهذا الوجه, وقد كان للعرب مخالطة لخير أنهم من سائر الألسنة فعلمت العرب بألفاظ أعجمية, استعملتها في أشعارها ومحاورتها, حتى جرى مجرى العربي الصحيح, وعلى هذا الحال نزل بها القرآن.³⁷

والمختار مما سبق ماذهب إليه (الطبري) وجمهور العلماء من أن القرآن كله عربي, وهو ما تشهد له النصوص الكثيرة, والحجاج الدامغة القوية التي احتج بها العلماء.

³⁵ محمد على الصابوني, التبيان في علوم القرآن, ص: 2.8.

³⁶ محمد على الصابوني, التبيان في علوم القرآن, ص: 2.8.

³⁷ محمد على الصابوني, التبيان في علوم القرآن, ص: 2.9.

وقد أكد العلامة القرطبي لرأي الجمهور, ورد الرأي الثاني, وقال أن الأول أصح, فإن العرب لا يخلو أن تكون تخاطب بها أولاً, فإن كان الأول فهي من كلا منهم, ولا يبعد أن يكون غيرهم قد وافقهم على بعض كلماتهم.³⁸

ومن الضروري أن يكون نطق الرسول بلغة قومه أي لغة قريش, هذا أمر بديهي, ومحمد صلي الله عليه وسلم عامة للناس جميعاً على اختلاف أسنتهم وأجناسهم. فكون القرآن عربياً ليفهموه العرب ولا يكون لهم عذر في الصدور عنه.³⁹ أخيراً, إن لم تكن العرب تخاطبت بها, ولا عرفت أنها استحال أن يخاطبهم الله بما لا يعرفون, وحينئذ لا يكون القرآن عربياً, ولا يكون الرسول مخاطباً لقومه بلسانه

الفصل الثالث تاريخ نزول القرآن

أنزل الله تعالى القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ومن السماء الدنيا إلى الأرض بوسيلة أمين السماء جبريل عليه السلام على النبي محمد, يهبط به على قلب النبي محمد ليبلغه وحي الله كقوله تعالى "نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ وَالْعُلَمَاءُ يَتَفَقَّهُونَ عَلَيْهِ"

³⁸ محمد على الصابوني, التبيين في علوم القرآن, ص : 2.10
³⁹ مصطفى صادق الرفعي, إعجاز القرآن, (دار ال كتاب العربي مجهول السنة), ص : 62

ولكنهم يختلفون عن كيفية إنزاله من اللوح المحفوظ ومن رأيهم :

القول الأول : وهو الأصح الشهر : أنه إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة وحد, ثم نزل بعد ذلك منجما في عشرين سنة, أو ثلاث عشرين, أو خمسا عشرين, على حسب الخلاف في مدة إقامته صلى الله عليه وسلم بمكة بعد البعثة . وهذا يسند إلى الحديث الذي أخرجه الحاكم والبيهقي والنسائي من طريق داود بن لأبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال : أنزل القرآن في ليلة واحدة إلى سماء الدنيا ليلة القدر, ثم انزل بعد ذلك بعشرين سنة, ثم قرأ :

لَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا⁴⁰ وَقُرْءَانًا
فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا⁴¹.

القول الثاني : أنه نزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدرا وثلاث وعشرين أو خمس وعشرين, في كل ليلة ما يقدر الله أنزله في كل سنة , ثم نزل بعد ذلك منجما في جميع السنة . وهذا القول ذكره الإمام فخر الدين الرازي.

القول الثالث : أنه بتدئ إنزاله في ليلة القدر, ثم نزل بعد ذلك منجما في أو فإن مختلفة من سائر الأوقات, وبه قال الشعبي.⁴²

القرآن الكريم لم ينزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم جملة واحدة وإنما نزل منجما قال تعالى (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ^ط وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا⁴³).

⁴⁰ سورة الفرقان الآية : 33

⁴¹ سورة الإسراء الآية : 106

⁴² جلال الدين السيوطي الشافعي , الإتيقان في علوم القرآن , ص : 118

⁴³ سورة الفرقان الآية : 32-33

وفي الأيتين الكريمتين إشارة إلى ذلك, لأن الكفار خصوصا اليهود حين رأوا انزول القرآن مفرقا قالوا : هل أنزل عليه القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى, والإنجيل على عيسى, والزبور على داود فقال تعالى : "كذلك" أي أنزلناه مفرقا (لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا, ولا ياءتوك بمثلا الا جنناك بالحق واحسن تفسيراً).⁴⁴

وهناك حكمة عظيمة فيه , ومن حكمته:

اولا : تثبت قلب النبي صلى الله عليه وسلم أمام أذى الشكين كقوله تعالى " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً.⁴⁵

ثانيا : التلطف بانبي صلى الله عليه وسلم عند نزول الوحي, وقد كنت بسبب روعة القرآن وهيبته كما قال تعالى " إِنَّا سَنُلْقِيْ عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلاً"⁴⁶.

ثالثا : التدرج في تسريع الأحكام السماوية, مثل التحريم على الخمر.

رابعا : تسهيل حفظ القرآن وفهمه على المسلمين لو كان القرآن نزل على أمة النبي محمد في جملة واحدة فصعب السلمين في حفظه وفهمه.

خامسا : مياسرة الحوادث والقائع, والنبية عليه في حينها.

سادسا : الإرشاد على مصدر القرآن وأنه تنزل الحكيم الحميد.

⁴⁴ احمد بن محمد طاحون, مع القرآن الكريم , (المملكة العربية السعودية : رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرساد,

198) ص : 18.

⁴⁵ سورة الفرقان الآية : 32

⁴⁶ سورة ال عمران الآية : 12

كما عرفنا أن القرآن لن ينزل دفعة واحدة كالكتب المقدسة التي سبقته بل ينزل تدريجياً، لذلك اختلف العلماء في أول ما نزل من القرآن على أقوال :

القول الأول : إن أول ما نزل من القرآن خمس آيات من سورة العلق: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه، وهو اتعبد، الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فتزود لمثلها حتى فجاءه الحق وهو في غار حراء، فجاء فقال إقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ من الجهد ثم أرسلني، فقال : إقرأ، فقالت : ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني.

الثالث حتى بلغ مني الجهد فقال (إقرأ باسم ربك الذي خلق) حتى (مالم يعلم) فرجع بها يرجف فواده حتى دخل على خديجة، فقال: زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال يا خديجة مالي؟ وأخبرها الخبر، وقال قد خشيت على، فقالت له : كلا أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدا، إنك اتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق "رواه البخاري عن يحيى بن بكير، ورواه مسلم عن محمد بن رافع كلاهما من عبد الرزاق.⁴⁷

القول الثاني : يَأْيَهَا الْمُدَّثِرُ - كما رواه الشيخان عن ابي سلمه بن عبد الرحمن قال : سألت جابر بن عبد الله، أي القرآن أنزل قبل؟ (يَأْيَهَا الْمُدَّثِرُ)، فقلى : أو اقرأ باسم ربك؟ قال أحد نكم ما حدثنا به الرسول الله صلى الله عليه وسلم إني جاورت بحراء فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت الاد فنظرت إمامي وخلفي وعن يميني

⁴⁷ ابي حسن بن أحمد النيسابوري، أسباب النزول، (بيروت : دار الفكر، 1411- 1931 م) ص

وشمالي ثم نظرت إلى السماء فأنزل الله (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) (قُمْ فَأَنْذِرْ)⁴⁸.

وهذان الحديثان السابقتان متعارضتان لكن أجاب العلماء عن هذا التعارض بأجوبة أشهرها أن المراد بقوله تعالى (إقرأ باسم ربك) (قُمْ فَأَنْذِرْ) دال على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأن النبوة عبارة عن الوحي إلى الشخص على لسان الملك بتكليف خاص، أما (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) (قُمْ فَأَنْذِرْ) أول آية تدل على رسالة محمد، لأنها عبارة عن الوحي إلى الشخص على لسان الملك بتكليف عام.⁴⁹ وكذلك اختلف العلماء في آخر ما نزل من القرآن على أقوال وأشهرها :

1. إن آخر ما نزل هو قوله تعالى (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي

الْكَلِمَةِ)⁵⁰

2. إن آخر ما نزل هو قوله تعالى في سورة البقرة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)⁵¹

أخرجه البخاري عن ابن عباس والبيهقي عن ابن عمر

3. وقال أيضا إن آخر ما نزل، قوله تعالى في سورة البقرة

(وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ

لَا يُظْلَمُونَ)⁵² أخرجه النسائي من طريق عكرمة عن ابن

عباس

⁴⁸ محمد بن علوي المالكي الحسني، زبدة الاتقان في علوم القرآن، (المملكة العربية السعودية: دار الشريك، 1983، 143م) ص: 7.

هنظر ايضا مناع القطان، مباحث في علوم القرآن ص: 22.

⁴⁹ مناع القطان، مباحث في علوم القرآن ص: 67.

⁵⁰ سورة النساء الآية: 176.

⁵¹ سورة البقرة الآية: 278.

⁵² سورة البقرة الآية: 281.

4. وقال سعيد بن المسيب : أخرآية نزلت آيته الدين , وقال السيوطي : وهو مرسل صحيح الإسناد. ويمكن الجمع بين القول الثاني وما بعده , بأنها نزلت كلها دفعة واحدة كترتيبها في المصحف , فيصدق على كل منهما انها اخر ما نزل , وحينئذ يتأول القول الأول بأنه أخرما نزل في شأن الفرائض والأحكام.

لكن يشكل على هذا ماورد ان قوله تعالى (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**)⁵³ نزلت بعرفة عاما حجة الودع, ووجه الإشكال هو أن ظاهرها اكمال جميع الفرائض والأحكام قبلها مع أنه ورد في آية الربى والدين والكلالة وغيرها بعد ذلك, لذا حمل كثير من العلماء إكمال الدين في هذه الآية على ان الله اتم عليهم نعمته بتمكينهم من البلد ان الحرام وإجلاء المشركين عنه حتى حجه المسلمون لا يخالطهم المشركون, ويأيد هذا قول ابن عباس: كان المشركون والمسلمون يحجون جميعا فلما نزلت براءة نفي المشركين عن البيت وحج المسلمون لا يشاركهم في البيت الحرام أحد من المشركين فكان ذلك من تمام النعمة (وَأَتَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي).⁵⁴

وهناك أقوال أخرى في أخرما نزل الذي قد رواه الشيوطي منها: إن أخر ما نزل سورة (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ)⁵⁵ ومنها أنه سورة المائدة ومنها أنه آية (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ) ومنها أنه سورة الفتح ومنها أنه سورة البرائة.⁵⁶

قال البيهقي : يجمع بين هذه الإختلاف – أن صحت – بأن كل واحد اجاب بما عنده, وقال القاضي أبو بكر في الإنتصار : هذه الأقوال ليس فيها شئ مرفوع ألى النبي صلى الله عليه وسلم وكل

⁵³ سورة المائدة الآية: 3.

⁵⁴ سورة المائدة الآية: 3.

⁵⁵ سورة النصر الآية: 1

⁵⁶ سورة التوبة الآية : 1.

ما قاله بضرب من الإجتهد و غلبة الظن و يحتمل ان كل واحد منهم
أخبر عن آخر ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم
الذي مات فيه أو قبل مرضه بقليل وغيره سمع منه بعد ذلك.⁵⁷